مقالات من أرشيف مجلّة المشرق

السَّنة الرّابعة، العدد ١٣ – ١ تموز سنة ١٩٠١

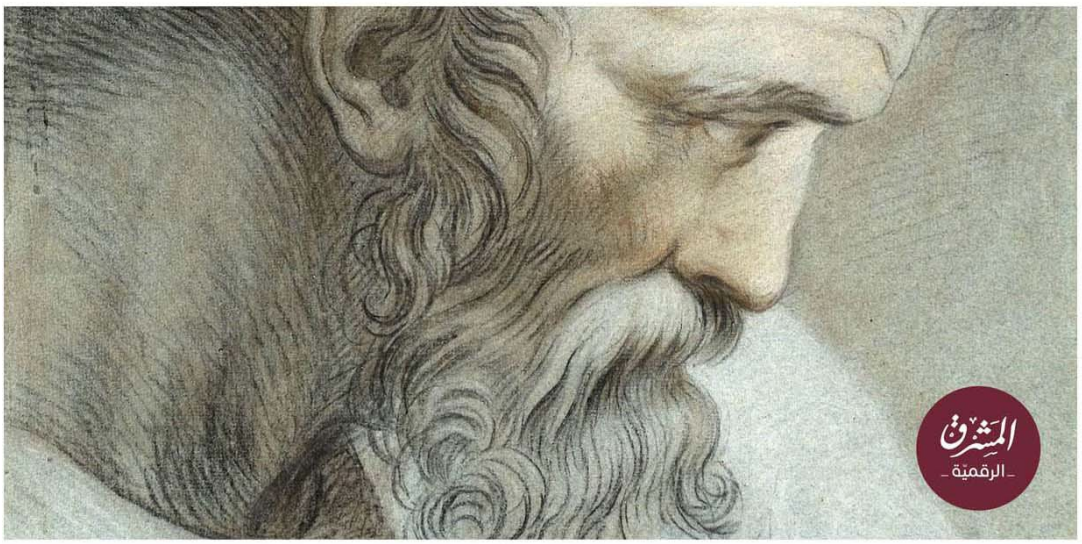

وصية فيثاغورس الذهبية

نبذة تولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوْطِئَة

انَّ بين المآثر الجليلة التي خلفها جهابذة الفلاسفة من اليونان كتاب صغير الحجم لا يتجاوز وُرَيقات قليلة يدعى « نشيد فيثاغورس الذهبيّ » وهو عبارة عن قصيدة من البحر اليوناني المسدّس الاجزاء يبلغ عدد ابياتها واحدًا وسبعين بيتًا تتضمَّن بمختصر الكلام تعاليم فيثاغورس ومبادئهُ الفلسفيَّة . وقد زعم كثيرون انَّ هذه القصيدة الَّفها فيثاغورس نفسهُ وجعلها كدستور يجد فيهِ تلامذتهُ ملخص فلسفتهِ وذلك في بدء القرن الخامس قبل المسيح . الَّا ان اصحاب النقد وارباب البحث تحقَّقوا اليوم ان هذه القصيدة ليست لفيثاغورس بل للفيلسوف ليزيس (Lysis) الذي عاش بعد فيثاغورس بزمن قليل وذلك استنادًا الى قول احد قدماء كتبة اليونانيين ديوجينيس من لايرتة (Diogène de Laerte) في كتاب تاريخهِ الثامن (ع٥ – ٧) . وقد شاعت هذه القصيدة بين الفيثاغوريين حتَّى انهم علَّقوا عليها التعاليق وشرحوها شرحًا مستوفيًا . وقد اشتهر تفسير الفيلسوف

الفيثاغوري هيروكليس المتوفَّى سنة ٤٧٠ للميلاد. وقد طُبع المتن اليوناني مع الشرح مرارًا تجدهما كليهما في مجموع فلاسفة اليونان طبعة فرمين ديدو (١

وقد عرف العرب هذه القصيدة ونقلوها الى لغتهم. ومن جملة الكتب التي ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (طبعة لندرة ٥ : ١٦٩) : « كتاب في وصايا فيثاغورس لابي العبَّاس احمد بن محمَّد السرخسي المتوفَّى سنة ٢٨٥ (٨٩٩) » والمرجَّح ان الحاج خليفة اراد الكتاب الذي نحن بصدده بيد انَّ هذه الترجمة قد اخذتها يد الضياع. ولابن مسكويه ترجمة أُخرى كان وقف عليها حنَّا أَلْخمان (J. Elichmann) فطبعها سنة ١٦٤٠ في لبدن مع نبذة اخرى فلسفيَّة تدعى بلغز قابس. وكان المذكور نقلها عن كتاب جاودان خرد المصون في خزانة كتب ليدن وفيهِ مجموع حسن من آداب العرب والفرس والروس والهند لم يطبع منها الكمان سوى هاتَين النبذتين. الَّا ان طبعتهُ المذكورة قد نفدت منذ زمن مديد لم يمكنَّا الاطِّلاع عليها. وقد اسعدنا الحظ ان نجد المجموع نفسهُ في خزانة الكتب الواتيكانيَّة مخطوطًا سنة ٩٢٨ ﻫ (١٥٢٢م) فاستنسخناهُ لمكتبتنا الشرقيَّة ولعلَّنا ننشر منهُ بعض طرائفهِ. وانما نكتفي اليوم بنشر وصايا فيثاغورس. وابن مسكويه مترجمها احد مشاهير النقلة من اللغات الاجنبية واسمهُ ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه (٢ توفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠م) ومن كتبهِ النفيسة كتاب تهذيب الاخلاق الذي طُبع مرارًا في مصر. وقد قابلنا هذه الوصايا الذهبية مع اصلها اليوناني فوجدناها مطابقةً لهُ في الغالب لا تحيد عنهُ الَّا قليلًا. ولعلَّ هذا الفرق يأتي من اختلاف الروايات الاصليَّة

وصيَّة فيثاغورس المعروفة بالذهبية

وهي التي يقول جالينوس انهُ يقرأُها كلَّ يوم غدوةً وعشية

قال فيثاغورس : اول ما اوصيك بهِ بعد تقوى الله عزَّ وجلَّ (٣ تبجيل الذين لا يحلُّ بهم الموت من الله واوليائهِ (٤ واكرامهم بما توجبهُ الشريعة وتوقَّ (٥ اليمين. ثمَّ أُوصيك بامتثال ذلك في خدمة الباصرين في مذاهبهم (٦. وأُوصيك ايضًا بتبجيل عُمَّار الارض (٧ فتفعل ما توجبهُ عليك الشريعة في اكرامهم. واوصيك باكرام سلفك واقربائك واوصيك ان تتَّخذ من سائر الناس افضلهم صديقًا (٨ ليكون صديقًا في الفضيلة ولن تُلين لهُ جانبك في الفعال ما اداهُ ذلك الى المنفعة ولا تستفسد صديقًا لهفوة تكون منهُ

---

١) Fragmenta philosophornm græcorum, *Firmin Didot*, Paris. 1890 pp. 192 et 408

٢) وقد وهم فنريخ (Wenrich) بقولهِ (ص ٨٧) انَّ السرخسيّ هو ابن مسكويهِ وبين كليهما زمنٌ مديد

٣) الكلام في الاصل عن آلهة المشركين

٤) لعلهُ يريد الملائكة واولياء الله الذين نُقلوا الى دار الخلد

٥) ولعلَّها « توفَّ » اي فِ بيمينكَ لله

٦) هذا معناهُ كما يؤخذ من النصّ اليوناني : واكرم ايضًا ذوي العقول السامية والهمم الشريفة

٧) عُمَّار الارض هم الذين يسعون في اصلاح شؤونها

٨) ولعلَّها « صدقًا »

ما امكنك. على انَّ الامكان قريب من الضرورة (١ فهذا اول ما ينبغي ان تعملهُ

ثمَّ ينبغي ان تتعوَّد ضبط نفسك على هذه الاشياء التي انا ذاكرها لك اولها امر بطنك وفرجك والغضب والنوم. واحذر ان ترتكب قبيحًا في وقتٍ من الاوقات على خلوةٍ (٢ ولا مع غيرك. وليكُن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد. ثم ينبغي لك ان يلزم نفسك الانصاف في كلامك وفعالك. ولا تحملنَّ نفسك على ارتكاب امر من الامور بلا تمييز بل اعلم انَّ الموت حالٌّ بجميع الناس لا محالة. واماَّ المال فليكُن قصدك فيهِ اكتسابهُ من حلالٍ واتلافهُ في حلالٍ (٣. وما قد يُنال من الاشياء المؤذية بالاسباب السمائيَّة فاصبر على ما ينوبك منها من غير ان تندم بل تروم مداراتها بقدر طاقتك

وينبغي لك ان تعلم انَّ ما ينوب الاخيار من الناس في هذه الامور ليس بالكبير. فاذا سمعت من كلام الناس جيدةً او رديئةً فلا تمتعض منهُ ولا تحملنَّك نفسك على الامتناع من استماعهِ. وان سمعت كذبًا فهوِّن على نفسك الصبرَ عليهِ. وما انا قائلهُ فأجر امرك عليهِ في كل ما تستعملهُ لا يحملنَّك احد بكلام ولا بفعل على ان تفعل ما ليس بجميل ولا ان تتفوَّه بهِ. وتروَّ قبل الفعل كيما لا تُغلب في فعلك واحذر ان تقول او تفعل ما يُستجهل منك بل انَّما ينبغي ان تقتصر فيما تفعلهُ على ما لم يَعدُ بالضرر عليك ولا تفعلنَّ فعلًا وانت جاهلٌ بهِ بل تعرَّف في كل حال وفي كلّ واحد من الافعال ما يجب ان تفعلهُ فانك حينئذٍ تُسرّ بمعاشك

ولا ينبغي لك ان تهمل امر صحَّة بدنك لكن تُعنى بالطعام والشراب والقصد فيهما وباصناف الرياضة. وانما عُني بالقصد ما لم يضرّ. وعوِّد نفسك ان يكون تدبيرك تدبيرًا نقيًا غير مسرف (٤ بمنزلة من لا خبرة لهُ بما في يديه. ولا تكن ايضًا شحيحًا فتخرج عن الحريَّة بل الافضل في الامور كلها هو القَصْد فيها وليكن ما تفعلهُ ما لا يعود بالضرر عليك. فاستعمل الفكر قبل العمل

ولا تساعد عينك على النوم قبل ان تتصفَّح كل واحد من الافعال التي فعلتها في

---

١) شرحها هيروكليس فقال: يريد ان الضرورة تزيد قوَّة ارادتنا فتجعل ممكنًا ما كنَّا نظنُّهُ غير ممكن ٢) وفي كتاب طبقات الاطبَّاء لابن ابي أُصيبعة (ص ٤١): ان تركب قبيحًا من الامر لا في خلوةٍ ٣) ويروى: اكتسابهُ في حالٍ واتلافهُ في حالٍ

٤) ويروى: ولا تكن متلافًا

نهارك أجمع فتقف قبل نومك في المواضع التي تجاوزت فيها ما ينبغي ان تفعلهُ فلم تفعلهُ وابدأ في ذلك من اول ما فعلتهُ واجرِ في تفقُّدك لذلك الى آخر ما فعلتهُ . فمتى كنت قد فعلتَ مكروهًا فليذعرَنَّك ومتى كنت قد اتيت رضيًا فليُبهجنَّك فعلى هذا فليكن حرصك وفيهِ دؤوبك واليهِ فاصرف همتك فانها توطّئ لك ما يرقّيك الى الفضيلة الالهيَّة إيْ والذي وجب لانفسنا الينبوع ذا الاربع من الطبيعة التي لا تَفْتُرُ (١

ومتى التمستَ فعلًا من الافعال فابدأ بالابتهال الى ربّك بالنجح فيهِ فانك اذا لزمت ذلك ولم تخالف هذه الوصايا وقفت على كُنه ما يجري عليهِ الامر في تدبير الله عزَّ وجل اولياءهُ . وفينا معشر الناس ما منهُ زائل في الواحد بعد الواحد وما منهُ ثابت . وعلمتَ ما قُدّر من مجرى الطبيعة كل شيء على مثال واحد كيما لا ترجو ما لا يُرجى . وعلمتَ ان الناس بشقاء جدّهم الذي اختاروهُ لانفسهم بارادتهم في حدّ من يُرثى لهم اذا كانوا مشرفين على الخيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتفقدون انفسهم فيما بُلوا بهِ فان الشاذَّ من الناس يتهيَّأُ لهُ استنفاذ نفسهِ من الشرور وان ما بُلوا بهِ من ذلك هو الذي يقدح في قلوبهم واذهانهم فهم يتقلَّبون في الشرّ بمنزلة ماءٍ قد خرج في الازقّة المختلفة الى آفاتٍ مختلفةٍ فيقعون في شرور لا احصاء لها وذلك ان الامر اللازم للطبيعة خبثهُ ينكأُ وهو لا يشعر وقد ينبغي ان لا يباعد بل يَهرب منهُ باظهار الاستُخذاء لهُ

ايها الاب الواهب الحياة حقًا اقول انك القادر ان تدفع عنهم بلايا كثيرة ان اظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم . لكنك ايها الانسان ينبغي ان تتشجَّع اذا كان في الناس جنس إلهي فالطبيعة الالهيَّة تقودهُ الى الوقوف على كل واحدٍ من الاشياء التي نلت منها حظًا من الحظوظ ولزمت ما أُشير بهِ عليك وشفيت نفسك من هذه الاوصاب والاضغاث نجوت سالمًا . ولكن اشبع من هذه الاطعمة التي ذكرناها واجعل امتحانك لها تزكية النفس وتخلية اسرها من حسدها وخبّر الناس بما تقف عليهِ في واحدٍ واحدٍ من ذلك . واجعل القسم المشرف على ذلك التمييز الصحيح فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلدًا يكون عند ذلك سائحًا غير عائد الى الانوسة ولا قابل الموت . تمَّت وصايا فيثاغورس والحمد لله حقَّ حمده

(١ هذا قسمٌ اعتادهُ تلامذة فيثاغورس وهي أيمانُهم المغلّظة . وكانوا يعظّمون عدد الاربعة ويعدُّونهُ عددًا كاملًا واصل كلّ كمال